مقدّمة تاريخية لسفر الرؤيا

١. مقدّمة

خلُصت من ملاحظاتي حول "المسائل التقديمية" إلى أن الرسول يوحنّا كتب سفر الرؤيا في جزيرة بطمس في نهاية حكم دوميتيان. وبما أن دوميتيان اغتيل عام ٩٦ب م، فإنه يمكننا أن نرجع السفر إلى حوالي عام ٩٥ب م. وبعد موت دوميتيان، عاد يوحنّا إلى آسيا حيث استقر في أفسس حتى عهد الإمبراطور تراجان (الذي حكم من ٩٨–١١٧م).

٢. الحالة العامّة للإمبراطورية

أ. الأباطرة الرومان في القسم الثاني من القرن الأول

١. نيرون (٥٤–٦٩)

٢. فسباسيان (٦٩–٧٩)

٣. تيطس (٧٩–٨١) – ابن فسباسيان

٤. دوميتيان (٨١–٩٦) – ابن فسباسيان

٥. نيرفا (٩٦–٩٨)

٦. تراجان (٩٨–١١٧)

ب. الفترة السابقة لحكم دوميتيان (٥٤–٨١)

أثناء حكم نيرون كان هنالك انتشار محدود للاضطهاد ضد المؤمنين بالمسيح بعد حريق روما في عام ٦٤ب م. فعلى الرغم من أن الاضطهادات كانت وحشية جدّاً، إلاّ أنها كانت مقصورة على ما يبدو على عاصمة الإمبراطورية الرومانية، روما.[١] ويشهد التقليد على استشهاد بطرس وبولس في روما أثناء حكم نيرون. أمّا الاضطهادات الأخرى أثناء السنوات الثلاثين الأولى بعد المسيح فكانت محلّية. إذ كانت تتم على أيدي يهود متعصّبين أو لأسباب محلّية بحتة كما حدث في أفسس مثلاً عندما اتّهم المؤمنون بالمسيح بالتآمر على عبادة أرطاميس (أعمال ١٩: ٢٣ فصاعداً).

بعد حكم نيرون الاستبدادي، فرض فسباسيان نظاماً أكثر تحضّراً على الإمبراطورية، مما أكسبه إعجاب الكثيرين واحترامهم. وكان ابنه تيطس حكيماً ومحبوباً مثله. ولا توجد إشارة مسجّلة إلى اضطهاد المؤمنين بالمسيح أثناء حكم هذين الرجلين (٦٩–٨١ب م). أمّا أورشليم فقد دمّرها الرومان في عام ٧٠ م واضعين نهاية للثورة اليهودية.

[١] F. F. Bruce, *New Testament History'* (Garden City, NY: Doubleday & Co., Inc.). ٣٩٩-٤٠٣.

جـ. حكم دوميتيان (٨١–٩٦)

كان دوميتيان، الابن الثاني لفسباسيان، نقيضاً صارخاً لسابقيه. يقول تيني: "كان بطبيعته منعزلاً وخالياً من روح الدعابة وجشعاً وقاسياً."[٢] بدأ حكمه بإحساس ما بالعدل، لكنه تحوّل في نهاية الأمر إلى حاكم نزوي. وبعدائه لمجلس الشيوخ الروماني صار حكمه حكم رعب. وعلى الرغم من عدّة أباطرة سابقين ثم "تأليههم" بعد موتهم، إلاّ أن دوميتيان كان أوّل إمبراطور يطالب بأن يخاطب بلقب Dominus et Deus . . . "الرب والإله".

وقد جعله تمرّد ألمانيا في ٨٨–٨٩ب م، على الرغم من إخماد هذا التمرّد، متشكّكاً جدّاً في أية إشارة لعدم الولاء. وقد اتّسمت سنوات حكمه الأخيرة بالرقابة الدائمة. وقد نصّب دوميتيان نفسه مراقباً مدى الحياة (Censor Perpetuus). وبهذه الصفة "طالب بأن يكون أوّل من يصوّت في المجلس، ممّا أعطاه فرصة إعلان سياسته المفضّلة حول كل مسألة تشريعية وبالتالي تغيير سياسة الدولة."[٣]

كان يجب أن يُعبد الإمبراطور الروماني، وكان دوميتيان "الرب." وقد أدّت هذه الديانة القومية التي رسّخت عبادة الإمبراطور وقمعت أية جماعة تقاوم سياسات الدولة أو حتى يشتبه بعدائها للنظام الموجود، إلى وضع المؤمنين بالمسيح في وضع غير موات. فإن من شأن التقائهم سرّاً للعبادة وتكريسهم أنفسهم لإله غير منظور أن يعرّضهم دائماً للاتهام بالتآمر والإلحاد. غير أنه لم يكن هنالك اضطهاد شامل للمؤمنين بالمسيح (على الأقل لم يورد أي من مؤرّخي تلك الفترة هذا الأمر).[٤] فلقد كانوا يحتملون بشكل عام، على الرغم من أنه كان يُلقى القبض على قادتهم بين الفترة والأخرى، ويتم استجوابهم وإعدامهم أو نفيهم. ويقول يوسابيوس عن دوميتيان، "كان ثاني إمبراطور يمارس الاضطهاد نحونا، على الرغم من أن أباه فسباسيان لم يحاول عمل شيءٍ لإلحاق الأذى بنا."[٥] أخذ هذا الاضطهاد عموماً شكل العقاب بالنفي أو بمصادرة الممتلكات. وتوحي تصريحات يوحنّا بأن وجوده في جزيرة بطمس جاء نتيجة لنفي الإمبراطور له (رؤيا ١: ٩) وأن الكنائس كانت تواجه بعض المقاومة (٢: ٩، ١٠، ١٣؛ ٣: ١٠). وإنه لأمر معروف أن بعض الاضطهادات كانت تتم على أيدي اليهود غير المؤمنين، لا على أيدي الدولة فحسب (٢: ٩؛ ٣: ٩).

---

[٢] Merrill C. Tenney. *New Testament Times* (Grand Rapids. MI: Win. B. Eerdmans Pub. Co.), ٣١١.

[٣] Ibid., ٣٢٣.

[٤] Win. M. Ramsay, *The Church in the Roman Empire Before AD. ١٧٠* (New York: Putnam. ١٨٩٣). من أجل رأي مختلف، انظر

[٥] Eusebius, *Eccl. Hist.*, ٣,١٧

د. حكم تراجان (٩٨–١١٧)

بعد أن حكم نيرفا لفترة قصيرة (٩٦–٩٨)، جاء تراجان إلى الحكم في عام ٩٨ ب م، وصار واحداً من أكثر الحكّام المقتدرين الأكفاء. وقد وجد المؤرّخون بعض الظلم أثناء حكمه، لكن لم يوجد اضطهاد على نطاق واسع. وقد عكست مراسلاته مع بليني الأصغر "تسامحاً موجّهاً بعناية."[٦]

٣. الرسول يوحنّا وجزيرة بطمس

توضّح رؤيا ١: ٩ بوضوح أن يوحنّا كتب سفر الرؤيا من جزيرة تدعى بطمس. ويدعم يوسابيوس (الذي يقتبس من ترتليان) فكرة أن يوحنّا كان منفيّاً بالفعل أثناء حكم دوميتيان:

لكن بعد أن حكم دوميتيان مدة ١٥ عاماً، وخلفه نيرفا في الحكم، أصدر مجلس الشيوخ الروماني مرسوماً بتجريد دوميتيان من كل ألقاب الشرف، وأن يعاد الذين تم نفيهم ظلماً إلى بيوتهم وأن ترد أملاكهم إليهم. هذا ما يقوله مؤرّخو ذلك العصر. إذاً هكذا عاد الرسول يوحنّا من منفاه في بطمس، واستقر في أفسس حسب تقليد قديم من تقاليد الكنيسة.[٧]

لا نعرف الكثير عن بطمس. فهي جزيرة صخرية تبعد عن ساحل آسيا الصغرى ٣٥ ميلاً إلى الجنوب الغربي من مليتس. وقد استخدمت كمنفى أثناء حكم الإمبراطورية الرومانية.[٨] ويعتقد رامزي أن نفي يوحنّا كان قاسياً جدّاً، لكن ليست لدينا أيّة أدلة على ذلك.[٩]

أقام يوحنّا بعد إطلاق سراحه من بطمس في أفسس التي انطلق في خدمته في مقاطعة أسيّا منها. يقول لنا يوسيبيوس (مقتبساً كلام كليمندس):

فبعد أن مات الطاغية (أي دوميتيان)، عاد إلى أفسس. وكان يذهب أيضاً، حين يُدعى، إلى مناطق الأمميين المجاورة؛ وكان يعيّن في بعضها أساقفة، وفي بعضها كان يؤسس كنائس جديدة تماماً، لكي يعيّن في الخدمة بعضاً من الذين عيّنهم الروح القدس.[١٠]

---

[٦] من أجل نسخة عن هذه الوثائق التي تناقش "الموقف المسيحي"، انظر Tenney, ٣٢٩–٣٣١

[٧] Eusebius, *Eccl. Hist.*. ٣,٢٠.

[٨] انظر Pliny, *Nat. Hist.*, ٤,٢٣.

[٩] Wm. M. Ramsay, *The Letters to the Seven Churches of Asia* (١٩٠٤; reprint, Grand Rapids, MI: Baker,١٩٦٣), ٨٥.

[١٠] Eusebius, Eccl. *Hist.*, ٣,٢٣

٤. علاقة سفر الرؤيا بالإمبراطورية الرومانية في عصر يوحنّا

لا يوجدُ شكٌ كثيرٌ في أن خلفية حكم دوميتيان كانت دافعاً لكتابة سفر الرؤيا. لقد تألّم يوحنّا نفسه فعلاً، وكانت الكنائس السبع التي خاطبها في رسائله تمر في أوقات عصيبة. والسؤال الهام لنا هو ما يلي: هل ننسب كل تفاصيل السفر إلى حكم دوميتيان، أي هل نتوقّع تحقيقه في زمن يوحنّا نفسه؟ أعتقد أن الجواب في ما يتعلّق برؤيا ٤-٢٢ على الأقل هو "لا."

أ. أسباب عدم تحقُّق رؤيا ٤-٢٢ في زمن يوحنّا

١. يحدد العهد القديم أن زمن غضب الله سيكون في "آخر الأيام" (انظر مثلاً تثنية ٤: ٢٥-٣١؛ إرميا ٣٠: ٣-٨، ٢٤).

٢. ترتبط أحداث رؤيا ٤-٢٢ بظهور ضد المسيح و"مملكته،" التي تصوَّر دانيال أنها تتبع الدولة الرومانية (دانيال ٧: ٢٣-٢٥).

٣. حتى ضِمن سفر الرؤيا، لا يتم القضاء على "الوحش" (ضد المسيح) إلا عند المجيء الثاني للمسيح (رؤيا ١٩-٢٠).

٤. توقّع القريبون جداً من الرسول يوحنّا (والذين تعلّموا منه) تحقيقاً مستقبلياً سيعود المسيح فيه ليحكم على الأرض.

ب. تقليد تعليم يوحنّا مع تلاميذه

هل قصد يوحنّا بأن يوحي بأن الوحش كان إشارة إلى دوميتيان أو إمبراطورية روما؟ يبدو أن التقاليد التي حفظها تلاميذه تقول غير ذلك. سندرس الآن الربط بين الرسول يوحنّا وعدة أشخاص مقرّبين جداً له في آسيا لكي نفهم كيف فهموا هذه الأمور.

إن سكنى يوحنّا في أفسس بعد إطلاق سراحه أمر ذو دلالة، إذ صار المركز الأفسسي قلعة حصينة للأرثوذكسية والتقليد المرتبط بيوحنّا. يقول يوسيبيوس (مقتبساً كلام إيريناوس): "لكن الكنيسة في أفسس أيضاً، تلك الكنيسة التي أسسها بولس حيث واصل يوحنّا سكناه حتى زمن تراجان، هي شاهد أمين على التقليد الرسولي."[١١] فإن كان هذا صحيحاً، فما الذي يمكننا أن نتعلّمه من أولئك الذين كانت لهم صلة بالمركز الأفسسي الذي واصل حمل تعاليم يوحنّا؟ يبرز من آسيا ثلاثة أشخاص كانوا قريبين جداً من الرسول يوحنّا.

١) بابياس (حوالي ٦٠- حوالي ١٣٠م) تلميذ يوحنّا
أسقف هيرابوليس (شرق أفسس)

٢) بوليكاربوس (حوالي ٧٠-١٥٥\١٦٠م) تلميذ يوحنّا
أسقف سميرنا

٣) إيريناوس (حوالي ١٢٠-٢٠٢م) أصله من سميرنا (تلميذ بوليكارب)
أسقف ليونز

[١١] Eusebius. *Eccl. Hist.*, ٣,٢٣.

١. بابياس (حوالي ٦٠– حوالي ١٣٠م)

أ. رفيق مقرّب من يوحنّا

١) "يذكر إيريناوس وآخرون أن يوحنّا اللاهوتي والرسول عاش حتى زمن تراجان، وبعد تلك الفترة اشتهر هيرابوليس وبوليكارب أسقف سميرنا، *وهما من الذين استمعوا إليه* . . ."[١٢]

٢) يشهد بابياس الذي استمع إلى يوحنّا وكان رفيقاً لبوليكاربوس، وهو من القدماء الجديرين بالاحترام، على . . ."[١٣]

ب. توقعات بابياس الألفية

١) "سجَّل نفس الكاتب (أي بابياس) ملاحظة أخرى وصلت إليه من التقليد الشفوي، أمثالاً غريبة معيّنة للمخلّص وتعاليمه، وبعض تصريحات أخرى ذات طبيعة خرافية. ومن بين هذه الملاحظات يقول إنه ستكون هنالك فترة عشر آلاف سنة بعد القيامة، وأن ملكوت المسيح سيقام في صورة ماديّة على الأرض."[١٤]

٢) "يقال إن (بابياس) هذا نشر تقليداً يهودياً عن حكم ألفي، ويتبعه في ذلك إيريناوس وأبوليناريوس والآخرون الذين يقولون إنه بعد القيامة سيحكم الرب في الجسد مع القدّيسين."[١٥]

٣) يقول في هذه (أي في كتابات بابياس) بأنه ستكون هنالك ألف سنة بعد القيامة، وسيكون هنالك حكم جسدي (أي مادي فعلي) للمسيح على هذه الأرض ذاتها. وهذه أمور يظهر أنه تخيّلها كما لو أن الروايات الرسولية تصادق عليها، دون أن يفهم بشكل صحيح أن تلك الأمور التي قدّموها بشكل روحي غير مادي في رموزها."[١٦]

من الواضح أن بابياس كان مؤمن قبل ألفيّ في فهمه للأخرويات، على الرغم من اختلاف يوسابيوس (الذي كتب بعد فترة طويلة لاحقة) مع منظوره.

---

[١٢] Eusebius, *Chronicon.* ينكر يوسابيوس فيما بعد أن بابياس كان تلميذاً ليوحنّا، (*Hist. Feel.* ٣,٣٩) قائلاً بأنه كان هنالك *يوحنّا آخر*، لكن ربما يكون هذا انعكاساً لتحامله على فكرة الحكم الألفي.

[١٣] lrenaeus, *Adv. Haer.*, ٥,٣٣,٣–٤.

[١٤] Eusebius, *Eccl. Hist.*, ٣,٣٩.

[١٥] Jerome, der vir. Illust., ١٨.

[١٦] Eusebius, *Eccl. Hist.*, ٣,٣٩.

٢. بوليكارب (حوالي ٧٠-١٥٥/١٦٠)

أ. معلومات شخصية

١) كان أحد المستمعين إلى يوحنّا، مع بابياس

٢) مشهور بأمانته:

"تصوّره المصادر على أنه راعٍ أمين، بطل من أبطال التقليد الرسولي، وعمود للأرثوذكسية الجامعة."[١٧]

٣) وصفه أشخاص غير مؤمنين بالمسيح لدى استشهاده:

"إنه معلّم آسيا، أبو المؤمنين بالمسيح"

٤) معلّم إيريناوس

ب. توقّعات نبوية

"لأنه إن كنّا نرضيه (الله) في هذا العالم الحاضر، فسننال العالم المستقبل أيضاً، حسب ما وعدنا بأن يقيمنا من الموت، فإنه إذا تصرّفنا بشكل لائق به، فسنملك معه أيضاً، إن كان لنا إيمان حقّاً."[١٨]

٣. إيريناوس (حوالي ١٢٠-٢٠٢م)

أ. معلومات شخصية

تلقّى التقاليد من يوحنّا عن طريق بوليكاربوس. "... إيريناوس الذي كان تلميذاً لبوليكارب التقي... في هذه (الكتابات) يذكر بوليكاربوس قائلاً بأنه تعلّم على يديه. وقد دحض باقتدار كل هرطقة، وسلّم (للجيل التالي) الدور الجامع للكنيسة كما كان قد تلقّاه من القديس."[١٩]

"كما سمعت من أحد الشيوخ الذين سمعوا من أولئك الذين رأوا الرسل، ومن علمائهم..." (Irenaeus, *Adv. Haer.*, ٤,٢٧)

ب. توقّعات نبوية

"وهكذا فإن البركة المتنبّأ بها تخصُّ بلا شك أزمنة الملكوت، حين يقوم الأبرار من الموت ويملكون، عندما تتجدد الخليقة أيضاً وتتحرر من العبودية منتجةً وفرة هائلة من كل أنواع الطعام من ندى السماء ومن دسم

---

[١٧] J. D. Douglas. ed., *Dictionary of the Christian Church.* ٢d ed. (Grand Rapids, MI: Zondervan.١٩٧٨), ٧٩١.

[١٨] *The Epistle of S. Polycarp* (section ٥), cited in J. B. Lightfoot, *The Apostolic Fathers* (Grand Rapids, MI:Baker Book House), ٩٦-٩٧.

[١٩] Note attached to *The Martyrdom of S. Polycarp* (see Lightfoot, Apostolic Fathers, ١١٦-١٧).

الأرض؛ وكما يروي الشيوخ الذين رأوا يوحنا تلميذ الرب ما سمعوه منه من كلام، فقد كان الرب يعلّم حول هذه الأمور. . . ."[٢٠]

٥. خلاصة

تلقي تحرّياتنا التاريخية بض الضوء على فهمنا لسفر الرؤيا. فلقد كان لما كتبه يوحنّا صلة باختبارات الكنيسة الأولى، وباختبارات كنائس آسيا على نحو مؤكّد. لقد ظهر القمع والاضطهاد بالفعل أثناء حكم دوميتيان، وكان يأتي هذا غالباً في صورة نفي. فقد حان الوقت لأن تعد كنيسة يسوع المسيح نفسها لفترة طويلة من الاضطهاد "المتقطّع"، فترة ستستمر حتى زمن قسطنطين. وكان أمراً ملائماً أن يقوم الله بإعطاء كنيسته سفراً آخراً موحى به يساعد شعبه عبر هذه الفترة. ولا يعني هذا بالضرورة أنه قُصد لنبوءات رؤيا ٤-٢٢ أن تتحقق في زمن يوحنّا. وفي حقيقة الأمر يوجد خط توازٍ قريب بين سفر الرؤيا وسفر زكريا. فقد كُتب سفر زكريا من أجل تشجيع بني إسرائيل في ذلك العصر على الاستمرار في عمل إكمال هيكل ما بعد السبي. غير أنه تم تضمين تفاصيل عن الأيام الأخيرة وخلاص إسرائيل النهائي على يد المسيّا في ذلك التشجيع. وينطبق الأمر نفسه على سفر الرؤيا. إذ يشتمل على تفاصيل الضيقة العظيمة، وظهور ضد المسيح، وعودة الرب لكي يحكم مع قدّيسيه، من أجل تشجيع المؤمنين الذين يتعرّضون للاضطهاد. يمكن لهذه التفاصيل أن تتحقق في المستقبل البعيد جدّاً وتكون في نفس الوقت ذات صلة بالمؤمنين في عصر يوحنّا. لكن من موقفهم هم، كان يمكن لهذه النبوءات أن تتحقق أثناء حياتهم. والفكرة هي أنه في أي من الحالتين، كان السفر مناسباً لهم.

إن الأمر الملحوظ هو الاتفاق الوثيق بين أولئك الذين رأوا وسمعوا يوحنّا بشكل مباشر، أي بابياس وبوليكاربوس وآيرينيوس. وإنه لأمر مثير للاهتمام أن كثيرين آخرين كانوا مؤمنين بالعقيدة الألفية، لكن كون هؤلاء الأشخاص الثلاثة مؤمنين بتلك العقيدة أمر جدير باهتمامنا. تشير كل الدلائل إلى أنهم اتّصلوا بيوحنا بشكل مباشر، ولا يوجد شك في أنهم فهموا أن المسيح سيعود ليقيم ملكوته بشكل مادّي ويحكم مع قدّيسيه على الأرض. وبطبيعة الحال، تخلّى آخرون في نهاية الأمر عن هذه النظرة، خاصة بسبب تأثير أوريجانوس والمدرسة الإسكندرية. غير أني أعتقد أنه أمر جيّد أن يضم المرء صوته إلى هذه الصحبة الصالحة التي تتلمذت على يدي يوحنّا!

[٢٠] Irenaeus, *Adv. Haer.*, ٥,٣٣,٣-٤.